

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(214) إيمانه من الكاذب في ادّعائه، كما يعرب عنه قوله: (حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين). توضيحه: أن المنافقين كانوا مضمّنين على عدم الخروج مع المؤمنين إلى غزو الروم، وكان لهم تخطيط في غياب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أبطله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بتخليفه علياً مكانه، قال سبحانه: (وَلَوْ أَطْرَدُوا الْفِرْعَوْنَ أَذْهَبَ لَهُ الْكُذُوبَ وَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ۚ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ۚ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ) (1)، والآية تدلّ على أنَّهُم كانوا عازمين على الإقامة في المدينة، وكان الاستئذان نوع تغطية لقبح عملهم حتى يتظاهروا بأنّ عدم طعنهم مع المؤمنين كان بإذن من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). ومن جانب آخر أنَّهُم لو خرجوا مع المسلمين ما زادوهم إلا فتنة وخبالاً وإضعافاً لعزائم المؤمنين، وفيهم سمّاعون لهم يتأثرون بدعائياتهم وإغوائهم كما يقول سبحانه: (لَوْ خَرَجُوا فِرْعَوْنَ مَا زَادُوا كُفْرًا إِلَّا خَبَالًا ۚ وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ يَدِغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ ۚ وَفِرْعَوْنُ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) (2) وبما أنَّهُم كانوا عازمين على القعود أوّلاً، وعلى الإضرار والفتنة في جبهات الحرب ثانياً، لذلك لم يكن في الإذن أيّة تبعة سوى فوت تمييز الخبيث من الطيب، ومعرفة المنافق من المؤمن، إذ لو لم يأذن لهم لظهر فسقهم وتمردهم على كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومثل هذا لا يعد عمل خلاف حتى يكون الاعتراض عليه دليلاً على صدور الذنب، ولو كانت المخطئة عارفة بأساليب البلاغة وفنون الكلام لعرفت أن _____ 1 . التوبة: 46، 2 . التوبة: 47.